

**العيارون والشطار ودورهم
فك العراق فك العصر البويهفك
(٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)**

**اعداد
أ.م.د. عمر احمء سعفء**



ملخص البحث

عد العيارون والشطار من أكثر الشرائح الاجتماعية إثارة للاهتمام بين المعنيين قديماً وحديثاً ؛ فقد انقسم المؤرخون إلى قسمين في تقويمهم ، فأشاد القسم الأول منهم بهذه الحركة ورفعوا من شأنها، أما القسم الآخر فقد ذمهم .

عد العيارون والشطار من الشرائح الاجتماعية التي تكون منها المجتمع البغدادي. فقد لعبوا دوراً مهماً في بغداد لاسيما في العصر العباسي الثاني، فضلاً عن دورهم في العصرين البويهّي والسلجوقي.

قسم البحث الى تمهيد ومبحثين وخاتمة، شمل التمهيد مقدمات تاريخية فكان أولاً مفهوم العيارون والشطار لغة واصطلاحاً وظهورهم على مسرح الأحداث السياسية، وثانياً تأسيس الدولة البويهية.

أما المبحث الأول فتضمن العيارون والشطار وموقفهم من المؤسسة المدنية، فكان:

أولاً: العيارون والشطار والأمراء البويهيون

ثانياً: العيارون والشطار والوزراء

ثالثاً: العيارون والشطار والقضاة

رابعاً: العيارون والشطار والحجاب

خامساً: العيارون والشطار وموظفين آخرين

أما المبحث الثاني فكان العيارون والشطار وموقفهم من المؤسسة العسكرية، فشمّل:

أولاً: العيارون والشطار والقادة والجند

ثانياً: العيارون والشطار والشرطة

.وتضمنت الخاتمة نتائج البحث •

التمهيد: مقدمات تاريخية

أولاً: مفهوم العيارون والشطار وبدايات نشأتهم
١- في اللغة والاصطلاح

فالعيار لغة: (الرجل الذي يخلي نفسه وهواها لا يردعها ولا يزجرها) ^(١) . وهو كثير التجوال والطواف والحركة ^(٢) . والعيار: كثير الذهاب والمجيء في الأرض ^(٣) . وربما سُمي الأسد عياراً لتردده ومجيئه وذهابه في طلب صيده ^(٤) .

فقال الشاعر أوس بن حجر:

ليث عليه من البردي هبرية كالمزبراني عيار بأوصال ^(٥)

وعرفها بعضهم بقوله: والعيار بضم العين جمع مفرد لها (العيار) وتعني الشحاذ والمحتال الكثير التجوال الذي يتردد بلا عمل فيقال: (عار الفرس بعيداً ذهب كأنه منفلت على وجهه لا يثنيه بشي: فهو عائر أي متردد جوال) ^(٦) . والعيار بكسر العين كان يطلق على الأوزان والمكاييل ^(٧) . وفي الفارسية جاءت بمعناه اللص الشريف ^(٨) . وعند الأعرابي

(١) الاصبهاني، خريدة القصر، ٣/٣٣٥.

(٢) الرازي، مختار الصحاح، ٤٦٥ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٢/٩٤٠ ؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ٢/٦٤٥.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٢ / ٩٤٠ ؛ الرازي، مختار الصحاح، ٤٦٥ .

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ٢/٩٤٠ .

(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة .

(٧) الرازي، مختار الصحاح، ٤٦٥ .

(٨) محمد ارشيد العقيلي، العيارون والشطار ودورهم في الحرب بين الأميين والمامون، ٩٢.

الغير (الفرس النشيط قال والعرب تمدح بالعيار وتذم به) يقال: (غلام عيار ونشيط في المعاصي . وغلام نشيط في طاعة الله).^(١)

والشاطر لغة: من أعيأ أهله خبثاً شطاراً^(٢) . والشطار جمع مفرد لها (الشاطر) وهو مشتق من الفعل الثلاثي: شطر، ويقال: شطر عن أهله أي ابتعد عنهم وتركهم، والشطارة تعني الانفصال والابتعاد، والشاطر ممن عصا ولي الأمر، وانشطر عن أهله وعاش في الخلاعة ومن صفاته المكر والدهاء والخبث والذكاء والحيلة^(٣) . والشطر: نصف الشيء، شاطره ماله ناصفه^(٤) . وان الشطر بمعنى الاتجاه فجاء في قوله (تعالى):

(قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)^(٥) . وقد أطلق الناس على الذي تباعد عن الخط السوي شاطراً^(٦) . والشاطر: (المتباعد عن الخير والذي شطر نحو الشر)^(٧) ومن خلال متابعة سلوك هؤلاء يبدو ان الشاطر هو الذي يشاطر الناس أموالهم يأخذ شطراً منها بالسرقة او سلبها . ونلاحظ ان إسباغ هذه المعاني اللغوية على العيارين والشطار انطلق من رؤية وصفية، لا معيارية لممارسات هذه الفئة .^(٨)

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٢/٩٤٠ - ٩٤١.

(٢) الرازي، مختار الصحاح، ٣٣٧ ؛ عبدالله البستاني، الوافي، ٢٥١ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٢/٣١٥.

(٤) الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٢٦٠ - ٢٦١ ؛ الرازي، مختار الصحاح، ٣٣٧.

(٥) سورة البقرة، الآيتان ١٤٤، ١٥٠ .

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ٢/٢١٥-٢١٦.

(٧) الانباري، الزاهر، ١/٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٨) موفق سالم نوري، العامة والسلطة، ٣٥ .

أما العيارون والشطار اصطلاحاً، فهم اللصوص الشرفاء المتمردون على واقعهم الاجتماعي^(١) وهم متشردون بئسوا ليس لديهم حرفة، ويمارسون أعمالاً وضيعة^(٢) ذاع صيتهم وتردد ذكرهم في بعض حقب الدولة العباسية، لا سيما في عصر الانحلال السياسي، وأيام الاضطرابات، وخلال الأزمات الاقتصادية الخائفة أو التفاوت الاجتماعي الطبقي البغيض.^(٣)

ومن أسمائهم الغواة والدعار والطارون ولصوص وغوغاء وأهل الزعارة واباش وسفلة وطغام والنطافون^(٤). وأن هؤلاء كانوا من الصعاليك الفقراء، وكان معظمهم من الأفارقة جلبوا الى بغداد ليشغلوا في الأعمال الحقيمة مثل الخدمة في القصور والبيوت والعمل في المزارع^(٥). وقد تمرد هؤلاء على الدولة والمجتمع وقاموا بمزاولة مهنة التلصص بسبب تدني مستواهم الاجتماعي والاقتصادي وسوء معاملة أرباب العمل لهم.

والعيار والشاطر كلمتان ذات مدلول واحد^(٦) وقد حاول بعض المحدثين التفريق بينهما، ولكنها لم تكن محاولة ناجحة^(٧) معتقدين ان الشطار غير العيارين وأنهم طائفة أخرى من أهل الدعارة امتازوا بملابسهم الخاصة بهم لهم منظر ياتزرون به على صدورهم

(١) محمد ارشيد العقيلي، العيارون والشطار ودورهم في الحرب بين الأمين والمأمون، ٩٢.

(٢) كلود كاهن، تاريخ الشعوب الإسلامية، ٢٠٩ - ٢١٠.

(٣) محمد ارشيد العقيلي، العيارون والشطار ودورهم في الحرب بين الأمين والمأمون، ٩٢.

(٤) الطبري، تاريخ، ٤٤٨/٨.

(٥) حسين عطوان، الشعراء الصعاليك، ٦٣.

(٦) جعفر عباس حميدي، العيارون والشطار والفتوة، ٩٢.

(٧) بدري محمد فهد، العامة ببغداد، ٢٨٨.

عرف بازرة الشطارة وأنهم أكثر انتشاراً في المجتمع من العيارين وأطول بقاء منهم ^(١) . وقال بعضهم (انه تبع العيارين غيرهم من الطبقات المسخطة كالشطارة والدعارة). ^(٢) وان اسم العيارين والشطار يخص هذه الفئة في العراق والجزيرة ^(٣) . أما في خراسان كان يطلق عليهم بـ (سرابدران) عرفوا باسم الصفورة في المغرب والاندلس. ^(٤) ومن القدامى من اسماءهم بـ (الفتاك) ^(٥) نتيجة لسطوتهم وانتشار شرورهم . ^(٦) وعرفوا باسم (الفتيان) او (الأحداث) في الشام ^(٧) أما في مصر فعرفوا باسم (العياق) ^(٨*) و (الزعار) ^(٩*) و (الحرافيش). ^(١٠***)

٢- ظهورهم على مسرح الاحداث السياسية

- (١) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ٥٣/٥٠ .
- (٢) سعيد الديوه جي، الفتوة في الإسلام، ٢٤ .
- (٣) توفيق سلطان اليوزيكي، العيارون والشطار، ١٤٩ .
- (٤) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ٥٣/٥ .
- (٥) توفيق سلطان اليوزيكي، ١٤٩ ؛ نقلا عن ابن بطوطة، نزهة المشتاق . ٢٣٥/١ .
- (٦) توفيق سلطان اليوزيكي، العيارون والشطار، ١٤٩ .
- (٧) محمد رجب النجار، الشطار والعيارون في التراث العربي، ١٦٣ .
- (٨) (*) العياق: كلمة مرادفة لكلمة (العيار) ورد استعمالها في مصر. (محمد رجب النجار، الشطار والعيارون، ١٨٠). اما لغويا فهي من (عاق، يعوق) وتقي الذي يعوق الناس عن عمل الخير وتقي ايضا المانع الذي يعوق الطريق ويقطعه عن الناس، (ابن منظور، لسان العرب، ٩٣٠/٢٠).
- (٩) (***) الزعار: العيارون الذين لا عمل لهم، وزعور: اللص الخاطف المارد، والزعار، شراسة الخلق. (ابن منظور، لسان العرب، ٢٥/٢).
- (١٠) (***) الحرافيش: مفردا حروفش: وهو الرجل ذميم الخلق، وهو القاتل واللس (ابن منظور، لسان العرب، ٦١٢/١٢) .

أول ظهور للعيارين والشطار في حدود منتصف القرن الثاني للهجرة ثم ظهوروا بقوة على مسرح الأحداث في أثناء الصراع الذي دار بين الأمين والمأمون وحصار بغداد من قبل الجيش الخراساني الذي أرسله الخليفة المأمون سنة (١٩٦-١٩٧هـ / ٨١١-٨١٢م) بقيادة طاهر بن الحسين، فقد كثرت الهجمات على بغداد حتى ضايقوا جند الأمين . لذلك حفر الخنادق وبنيت الحيطان وأصبحت الحرب سجالات بين الطرفين . ما أدى الى الخراب الدائم في المدينة وكثر الهدم ودرست المنازل ^(١) . لم يكن العيارون والشطار بعيدين عن مسرح الأحداث والصراعات التي جرت في هذه الأثناء، حيث لعبوا دوراً هاماً وشجاعاً في الدفاع عن مدينتهم بغداد وعن الأمين بوصفه الخليفة الشرعي ^(٢) . فظهروا على شكل جماعات مسلحة لها تنظيم عسكري ^(٣) . واصبحوا معروفين بأعمالهم وأقوالهم، وكانت أفعالهم تسمى عيارة وشطارة ^(٤) . ان عدد العيارين والشطار المقاتلين ضد الجيش الخراساني بلغ مائة الف في بعض معاركهم، فالقائد الواحد كان يسير الى الحرب في خمسين الف من العرة من العيارين المقاتلين ضد هذا الجيش ^(٥) . وقد تعجب أحد قادة الجيش الخراساني من هؤلاء عندما شاهدتهم في الحرب عراة لا سلاح بيدهم، فقال لأصحابه (ما يقاتلنا) وهذا دليل على استهانته بهم واحتقارهم، فقليل له: نعم هؤلاء الذين ترى هم الافة أي (العيارين) فقال لهم: (أف لكم حيناً تتكصون عن هؤلاء وتخيمون عنهم، وانتم في السلاح الظاهر، والعدة والقوة، ولكم ما لكم من الشجاعة والنجدة، وما عسى أن يبلغ كيد من أرى من هؤلاء ولا سلاح معهم ولا عدة لهم ولا جنة نقيهم) ^(٦) .

(١) الطبري، تاريخ، ٤٤٣/٨، ١٥٤ ؛ المسعودي . مروج الذهب، ٤٠٩/٣ .

(٢) موفق سالم نوري، العامة والسلطة، ١٩٤ ؛ جعفر عباس حميدي، العيارون والشطارة والفتوة، ٩٣٠ .

(٣) سليم فاضل، الفتوة العربية، ٤٥ .

(٤) الطبري، تاريخ، ٤٥٥/٨ .

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ٤١٤/٣ .

(٦) الطبري، تاريخ، ٤٥٧/٨ - ٤٥٨ .

فقد استخدم القائد الخراساني الأسلحة الفعالة في حينه من سهام ومجانيق ضد العيارين لكنها لم تأتِ بنتيجة، فقد تصدى له العيارون وأرادوا القضاء عليه لولا انهزامه حيث، قال فيهم: (ليس هؤلاء بأنس)^(١). ولم يكتفوا بذلك ففي سنة (١٩٦ هـ / ٨١١ م) على حد قول أحد المؤرخين القدامى (نقب أهل السجون وخرجوا منها وفتن الناس وساءت أحوالهم وثب الشطار على أهل الصلاح)^(٢). والمقصود بأهل الصلاح كبار التجار والأثرياء والقواد وان سبب ثورتهم على أهل الصلاح، كان بسبب تخاذل هؤلاء في نصره الأمين حينما رُميت بغداد بالمجانيق والعردات في مطلع سنة (١٩٧ هـ / ٨١٢ م) حتى دب الخراب فيها قتلا وحرقا وهدما^(٣).

وهكذا فان العيارين قد دافعوا عن بغداد وعن الأمين وقدموا الكثير من الضحايا، بعكس بعض المقاتلة الذين هربوا من الحرب ويقدمون العيارين بل ويحتمون بهم، وكادت المعركة بين أعزل ومسلح، أي هذه الحرب غير متكافئة لكن الشهامة والرجولة تدفعان العامة دائما الى المغامرة^(٤) والاندفاع في القتال الى حد الاستماتة، ولا سيما ان معظم هؤلاء كانوا من الفقراء المعدمين الذين لم يكن لديهم شيء يخشون خسارته وغالبا ما يستوي عندهم الموت والحياة.

ظهر العيارون مرة ثانية على مسرح الأحداث على شكل جماعات كبيرة ومنظمة وقوة مسلحة في حصار بغداد الثاني سنة (٢٥١ هـ / ٨٦٥ م) الذي فرضه قادة الجند من الترك بسبب لجوء الخليفة المستعين بالله إليها بعد ان ترك سامراء، فاستعد المستعين لذلك الحصار وطلب مساعدة العيارين والشطار^(٥). فوقف هؤلاء ومعهم جمهور العامة

(١) الطبري، تاريخ، ٨ / ٤٥٨ ؛ المسعودي، مروج، ٣ / ٤١٤ .

(٢) الطبري، تاريخ، ٨ / ٤٤٣ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٦ / ٢٦٩ .

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ٣ / ٤١٥ - ٤١٦ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٦ / ٢٧٢ .

(٤) حسين أمين، العيارون ونشاطهم الشعبي في بغداد، ١٥٢ .

(٥) الطبري، تاريخ، ٩ / ٢٨٧ - ٢٨٨ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٧ / ١٤٥ - ١٤٧ .

الى جانب الخليفة في صراعه مع الجند الترك وسيطروا على أحد المجانيق التي أحضرها الترك لضرب بغداد واخذها العامة منهم ^(١) . وقد فرض الخليفة المستعين للعيارين فرضاً وجعل عليهم عريفاً اسمه (يَنْتَوِيه) وعمل لهم تراساً من البواري المقيرة وأعطاهم المخالي ^(٢*) ليضعوا فيها الحجارة للرمي ^(٣) . ولم يصمد في القتال من أصحاب المستعين سوى أصحاب البواري (أي العيارين) على الرغم من الخسائر التي لحقت بهم ^(٤)

وثمة رواية أخرى أشارت الى حجم فاعليتهم (وكان لأهل بغداد في أيام حرب المستعين والمعتز حرب نحو هذا من خروج العيارين الى الحرب، وقد اتخذوا خيلاً منهم وأمراء يركب السواحل منهم على واحد من العيارين ويسير الى الحرب في خمسين ألف عرابة ^(٥) ان كثرة أعدادهم وتنظيماتهم لا تدل على انهم لصوص وقطاع طرق وحسب وانما تشير الى انهم أصحاب قضية هادفة ^(٦) . فقد قاموا بتشجيع العامة للخروج على السلطة والقيام بالاضطرابات ^(٧) وهذا ما حدث في زمن الخليفة المقتدر بالله بسبب ارتفاع الأسعار في سنة (٣٠٧هـ / ٩١٩م) وتوجهت نحو المساجد وكسروا المنابر وقطعوا الصلاة بعد

(١) ابن الأثير، الكامل، ١٤٧/٧.

(٢) (*) المخالي: عبارة عن آلة مستطيلة مصنوعة من الحديد، تستخدم في رفع وقلع الحجارة وقد

استخدمها العياريون للرمي بالحجارة اثناء حربهم الى جانب المستعين في صراعه مع الجندالترك .

(مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة والإعلام، ٥٧٠) .

(٣) الطبري، تاريخ، ٢٨٨/٩.

(٤) الطبري، تاريخ، ٢٩٣/٩.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ٤١٣/٣.

(٦) خزعل غازي، العياريون صورة المروءة الشعرية، ٢ (بحث من الانترنت) .

(٧) جعفر عباس حميدي، العياريون والشطار والفتوة، ٩٥.

الركعة الأولى^(١) . واستمرت فعاليات العيارين في عصر الخليفة المقتدر سنة (٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) بعد حرب بينه وبين الجندالترك انتهت بمقتله .^(٢) وفي عهد إمرة الأمراء (٣٢٤ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٥ - ٩٤٥ م) ازدادت فعاليات العيارين وظهرت اتجاهات جديدة حيث تدخلوا في الصراعات السياسية بين المتنافسين على السلطة من القادة والأمراء كما حصل في سنة (٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م) وسنة (٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م)^(٣) فاستعان ابن رائق بهم لتتم له السيطرة على السلطة في بغداد (وملك العيارون البلد)^(٤) . وقد نشط العيارون والشطار مرة أخرى في بغداد في سنة (٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م) وبلغ من قوتهم أنهم قتلوا القائد التركي بجكم لشدته وسطوته على الخلافة^(٥) .

وهكذا فان هذه الأحداث شجعت العيارين على استغلال الفرصة وتنظيم حركتهم بحيث أصبح لهم في كل محلة من بغداد عدة رؤساء مهمتهم تجميع العامة حولهم والمطالبة بحقوقهم والتحرك باسمهم .^(٦)

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ٧٣/٢ .

(٢) توفيق السلطان اليوزبكي، الوزارة، ١٤٩٠ ؛ توفيق سلطان اليوزبكي، العيارون والشطار، ١٥٤ .

(٣) صالح رمضان حسن، الفتوة في عهد الخليفة الناصر لدين الله، ٤١ .

(٤) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ١١٩ - ١٢٠ .

(٥) توفيق سلطان اليوزبكي، العيارون والشطار، ١٥٤ .

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ٣٠٥/٢ ؛ جعفر عباس حميدي، العيارون والشطار والفتوة، ٩٦ .

ثانياً: نشوء العصر البويهى

ينتسب البويهيون إلى جدهم بويه بن أبي شجاع وكان يشتغل بصيد السمك^(١)، فيرتفع نسبهم من بويه إلى واحد من ملوك الفرس^(٢)، يزجدجرد بن شهریار^(٣). وبعضهم يرجع نسبهم إلى الملك الفارسي بهرام جور الساساني^(٤)

(١) ابن واصل، التأريخ الصالحى، ٢٤/٢؛ محمد وصفي أبو مغلي، إيران دراسة عامة، ٢١١؛ عباس برويز، تأريخ عمومي إيران، ٤٧؛ ابراهيم حقي، تأريخ عمومي، ٢٢؛ عبد العظيم رضائي، تأريخ ده هزار ساله إيران، جلد دوم، ٣٥٥؛ يوسف علي بديوي، عصر الدويلات الإسلامية، ٢٦٦.

(٢) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ٢٢٧؛ آرثر أربري، شيراز، ٧٣.

(٣) الثعالبي، تأريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر ملوك الفرس، ٢٣٧؛ ابن البلخي، فارس نامه، ٧٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٦٩/١.

(٤) ابن البلخي، فارس نامه، ٧٥؛ الفردوسي، الشاهنامه، ٣٦٢؛ البناكاتي، روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، ٢٣١؛ القزويني، تأريخ كزيده، ٤٠٩؛ وله أيضاً، نزهة القلوب، ورقة ٣٠؛ انستاس ماري، خلاصة تأريخ العراق، ١١١؛ صديق صفي زاده، تأريخ بنج هزار ساله إيران، جلد دوم، ١٠٢٧؛ عمرعلي حسين العيساوي، بنوبويه من خلال كتاب مسالك الأبصار، ٧٢؛ سترشتين، مادة بويه، دائرة المعارف الإسلامية، ٣٥٤/٤؛ وبهرام جور الساساني: هو الملك الساساني بهرام الخامس ابن يزجدجرد فقد بلغته وفاة والده سنة (٤٢١م) عندما كان مقيماً عند ملك الحيرة. وقام بعض الأشراف ورجال الدين بقتل أخيه سابور ونصبوا محله شخص اسمه كسرى ملكاً عليهم، فلما سمع بهرام بذلك توجه إلى المدائن بمساعدة بعض العرب وبدأوا بمفاوضة الملك المنذر بن النعمان ملك الحيرة بعزل كسرى وتولية بهرام العرش وقد أحبه الناس لأنه خفض الضرائب عنهم ودعاهم إلى التمتع بالحياة ولاسيما انه كان منشغلاً في الملذات والاسراف وكان يقول الشعر العربي ومحباً للموسيقى. ساوا بين الطبقتين من الندماء والمغنين ورفع من اطربه ولقب بكوراً أو جوراً (حمار الوحش) لانه انتظم بطريقة سهم واحدة، حمار وحش، وأسد كان يعلو ظهره. ترك زمام امور الدولة بأيدي رجال العظام من الاشراف ورجال الدين وكان محبباً إليهم. توفي في سنة (٤٣٨م) وفي روايات أخرى سنة (٤٣٩م) وقيل إن وفاته طبيعية، لكن بعضهم أشار إلى ان وفاته كانت =

وهناك من أرجع نسبهم إلى سابور ذي الأكتاف^(١). وإنهم نسبوا إلى بلاد الديلم^(٢) لأنهم بقوا في تلك النسبة زمناً طويلاً^(٣)، وقيل لهم الديالمة لأنهم جاوروا الديلم وكانوا بين أظهرهم مدة طويلة^(٤).

ضحية به للصيد. (أرثر كريستسن، إيران في عهد الساسانيين، ٢٦٣-٢٦٤؛ قحطان عبد الستار الحديثي وصلاح عبد الهادي الحيدري، دراسات في التاريخ الساساني، ١٤٨-١٤٩).
(١) وهو أول ملك تولى الحكم وهو في بطن أمه، بعد وفاة والده هرمز بن نرسی، واسمه سابور بن هرمز وكان لقبه سابور ذا الاكتاف لأنه كان يخلع أكتاف العرب، حكم اثنين وسبعين سنة، وجعل وزراء أبيه وقواده وحاشيته يغشون بابه ويلزمون قصره ويواظبون على سد الثغور وتهذيب الأمور وترتيب العمال وتدبير الجيوش وتوجيه الجنود في البعوث، (المسعودي، مروج الذهب، ١/٢٥٤؛ الثعالبي، تأريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس، ٥١٠-٥١٣؛ أرثر كريستسن، إيران في العهد الساساني، ٤٢٢).

(٢) التي تطل على الساحل الغربي لبحر قزوين (بحر الخزر) إذ تحيط بها الأقاليم الآتية: من جهة الشرق بحر قزوين ثم الري وطبرستان. أما من جهة الغرب فيتاخمها إقليم أذربيجان، أما من ناحية الشمال فتطل على بحر الخزر (بحر قزوين)، ومن ناحية الجنوب يتاخمها قزوين وشيء من أذربيجان وبعض الري، فضلاً عن ما يتصل بها من جبال الروبنج وجبال قانوسيان وجبال قارن وجرجان. (الاصطخري، المسالك والممالك، ٢٠٤؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ٣١٩-٣٢٠).

(٣) ابن الطقطقي، الفخري، ٥٠٢؛ أحمد رفيق، تأريخ عمومي الكبير، ٤٨؛ إسماعيل شكر رسول، الامارة الشدادية، ٦٣؛ حسن سلهب، تأريخ العراق في العهد البويهية، ٢٥؛ أوس زيد زاهد توفيق الفخري، أمم وشعوب الأرض بحسب المصادر العربية، ١٢٧؛ نشتيان بشير محمد، الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية لغربي اقليم الجبال، ٤٧.

(٤) محمد بن أحمد كنعان، تأريخ الدولة العباسية، ق ١، ٢٤؛ حسن منيمنة، تأريخ الدولة البويهية، ٨٤.

لما توفي بويه أبو شجاع - جد البويهيين - ترك وراءه ثلاثة أولاد، هم علي وحسن وأحمد^(١). وكان هؤلاء في خدمة ماكان بن كالي الديلمي^(٢)، ونجح علي بشجاعته المميزة أن يصبح قائداً لجماعة مهاجرة من الديلم، هاجروا على شكل أجناد متخذين لأنفسهم قائداً يتبعونه، وتنتقل هذا القائد في الخدمة من ملك إلى آخر بحسب مقتضيات المصلحة المادية له ولأصحابه^(٣). ونجح البويهيون في وقت قصير في الوصول إلى مراكز مهمة لما أظهروا من كفاءة عسكرية، وعندما حلت الهزيمة بجيش ماكان على أيدي مرداويج بن زيار الديلمي^(٤) ترك علي وأخوته خدمته^(٥)، قائلين له: (الأصلح لك مفارقتنا إياك لتخف عنك مؤونتنا، ويقع كلنا على غيرك، فإذا تمكنت عاودناك)^(٦). وهذا يعني أنهم لم

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٣٤٩؛ القزويني، آثار البلاد، ٣٣؛ ابن العبري، تاريخ مختصر

الدول، ٢٧٩؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب، ق٢، ٤/٧٧٨-٧٧٩.

(٢) ماكان بن كالي: من القادة المشهورين في ذلك الوقت إذ استطاع من خلال جيشه السيطرة على طبرستان وظهرت منه شجاعة لم يرى الناس مثلاً من قبل وذلك من خلال المعركة التي دارت بينه وبين وشمكير الزياري والتي أدت إلى قتله. (ابن الأثير، الكامل، ٨/١٩٨).

(٣) حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف، العالم الإسلامي، ١٠٠؛ عصام عبد علي، مهيار الديلمي، ١٢؛ أحمد ابراهيم الشريف، العصر العباسي الثاني، هل كان عصر القوة، ٢٩٨.

(٤) مسكويه، تجارب، ١/١٦١-١٦٢؛ المنجم، اكمام المرجان، ٢٦؛ مرداويج بن زيار: أحد قواد أسفار بن شيرويه، تملك بعد أن قتله واستولى على قزوين والري وهمدان ثم استولى على طبرستان وعمل تاجاً مرصعاً على صفة كسرى وعرشاً من الذهب وعزم على إعادة بناء المدائن واحياء دولة الفرس فأسس إمارة عرفت بالإمارة الزيارية في سنة (٣١٦هـ/٩٢٢م)، قتله غلمانه سنة (٣٢٣هـ/٩٢٩م). (ابن الأثير، الكامل، ٨/١٩٦).

(٥) أبو إسحاق الصابي، المنتزع، ١٤؛ انستاس ماري الكرمل، خلاصة تاريخ العراق، ١١٠؛ حسن أحمد محمود، الإسلام في آسيا الوسطى، ٨٩-٩٠.

(٦) أبو إسحاق الصابي، المنتزع، ١٤.

يكونوا أصحاب مبدأ يقاتلون عليه، وإنما يميلون مع المال، وإلا كيف جاز لحر أن يترك صاحبه ويلتحق بعدوه بدعوى تخفيف المؤونة.^(١)

ويرجع السبب الحقيقي في ذلك إلى ضعف ماكان مقارنةً بقوة مرداويج، ثم النقص المالي الذي جعل ابن كالي غير قادر على ضمان الأرزاق لقادة جنده، ولهذا اضطر بنو بويه إلى ترك خدمته والانتقال إلى من يضمن لهم متطلبات الحياة ليتمكنوا من تكوين قوة يحققون بها أهدافهم^(٢)، ولاسيما إن هؤلاء كانوا جنوداً مغامرين هدفهم المال والحصول على مناصب هامة في الدولة، فكانوا يبيعون خدماتهم ليعيشوا كمرتزقة لمن يدفع المال لهم بغض النظر عن أهدافه السياسية، ولم يرتبط ولأوهم بطبيعة النظام أو بشخص الامام، ولم يقاتلوا من أجل مبدأ أو مذهب إلّتموا به^(٣). فقد كان ديدنهم التحالف والتعاون مع كل قوي، ليصلوا من خلاله إلى غاياتهم وتطلعاتهم متمثلين بذلك الفلسفة النفعية في الحياة بعيداً عن المبادئ والمعتقدات.

وهكذا انتقلوا إلى خدمة مرداويج بن زيار، الذي نصّب علي بن بويه والياً على منطقة الكرج الواقعة جنوبي همدان^(٤)، فأحسن معاملة أهلها فأحبه الناس والتفوا حوله^(٥).

(١) عمر علي حسين العيساوي، بنو بويه من خلال كتاب مسالك الابصار في ممالك الأمصار، ٧٢.

(٢) ادھام فاضل خطاب، علاقة الدولة الغزنوية بالبويهيين، ٦٤؛ حسن أحمد محمود، الإسلام في آسيا الوسطى، ٩٠.

(٣) بوزورث، التنظيم العسكري عند البويهيين في العراق وإيران، ٣٤؛ محمد عبد الحي شعبان، الدولة العباسية، ٢٢٠؛ نزار محمد قادر، الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة العربية، ٣٢٤.

(٤) مسكويه، تجارب، ٢٧٧/١؛ ابن العبري، تأريخ مختصر الدول، ١٦١؛ رشيد عبد الله الجميلي، الزياريون في جرجان وطبرستان، ١٥٢؛ نشستيمان محمد بشير، الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية لغربي إقليم الجبال، ٤٧؛ حسام الدين علي غالب النقشبندى، الكرد في الدينور وشهرزور، ١١٣؛ وله أيضاً: شاره زور و لورستاني باكوور له سه ده كاني ناوه راستدا، ١٩٧. وهمدان: من المدن المشهورة في غربي إقليم الجبال، وتعد أكبر مدينة في غربي إقليم الجبال وهي بمثابة عاصمة للقسم الغربي منه. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٨٣/٨؛ القزويني، أثار البلاد، =

وبعدها شعر مرداويج بالندم على عمله هذا خوفاً من تنامي طموحاته، فحاول منعه من الاستمرار فيه ولكنه لم يأت بنتيجة، فبدأ نفوذ البويهيين بالنمو والاتساع^(٢). فمدوا نفوذهم إلى أصفهان مدة^(٣)، ثم استولوا على شيراز، وعُدَّ ذلك نقطة مهمة، إذ وجد البويهيون قاعدة لهم وأصبحوا على مقربة من مقر الخلافة العباسية، وهو ما مكنهم من الاطلاع على مكامن القوة والضعف فيها، فضلاً عن ذلك كانت بأيديهم فارس وأعمالها.^(٤)

لما بلغت مرداويج أخبار انتصارات علي بن بويه شعر بخطورته، فقرر تحجيم قوته ومنعها من التنامي، فأرسل جيشاً إلى الأهواز فاستولى عليها، ولما سمع علي بن بويه بذلك رأى الصلح مع مرداويج فتم الصلح بينهما، معلناً تقديم الطاعة له، ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلاً بسبب قتل مرداويج على يد أحد غلمانه من الترك، فأصبحت

٤٨٣). وللمزيد من التفاصيل حول هذه المدينة يراجع همدان منذ الفتح الاسلامي إلى سقوطها بيد المغول، ادريس محمد حسن الدوسكي.

(١) نادية بنت عبد الصمد بن عبد الكريم مقلية، إقليم الري والجلال في العصر البويهي، ٩ ؛ صديق صفي زادة، تأريخ بنج هزار ساله إيران، جلد دوم، ١٠٢٨ ؛ نشيتمان محمد بشير، الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية لغربي اقليم الجبال، ٤٨.

(٢) عكاب يوسف جمعة، العلاقات السياسية للخلافة العباسية مع الامارات الاسلامية في فترة التسلط البويهي، ٢٥ ؛ ابراهيم سليمان الكروي، البويهيون والخلافة العباسية، ٩٢ ؛ ؛ قادر محمد حسن، الامارات الكوردية في العهد البويهي، ٧٢.

(٣) الثعالبي، لطائف المعارف، ٨٤ ؛ شوقي أبو خليل، أطلس التأريخ الإسلامي، ٢١٣.

(٤) الثعالبي، لطائف المعارف، ١٣، ٨٤ ؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون، ٤٣١/٤ ؛ عبد النعيم محمد حسنين، سلاجقة إيران، ١٩ ؛ عمر رضا كحالة، العالم الإسلامي، ١٨١/٢.

الفرصة سانحة لعلي بن بويه للاستيلاء على الري^(١)، إذ لم يعد ثمة ما يلزمه بأية تعهدات أو مواقف سياسية معينة.

وفي سنة (٣٢٢هـ/٩٢٨م) سيطر علي بن بويه على فارس ونواحيها^(٢). ثم تطلع إلى الحصول على تفويض الخلافة واعترافها بشرعية حكمه، فأرسل إلى الخليفة الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٣-٩٤٠م) يلتمس منه التفويض مقابل مبلغ قدره (مليون درهم) تدفع إلى دار الخلافة كل عام.^(٣)

وكان هدف علي من ذلك فضلاً عن اكتساب الشرعية، أن يأمّن غارات بعض أعدائه الذين كانوا يتطلعون للسيطرة على إقليم فارس^(٤). مستغلاً الأوضاع المالية السيئة للخلافة، إذ استحدث الخليفة الراضي في هذا الوقت منصب أمير الأمراء^(٥)، ومنحه صلاحيات سياسية وإدارية واسعة سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م)^(٦)، لمحمد بن رائق شريطة أن

(١) الأصفهاني، تأريخ سني ملوك الأرض، ١٧٥-١٧٦؛ أبو إسحاق الصابي، المنتزع، ١٤؛ القرمانى، أخبار الدول، ٢٦٩؛ حسن الجاف، الوجيز في تأريخ إيران، ٨٨/٣؛ جواد هروي، تأريخ سامانيان، ٣٤٩. والأهواز من نواحي بغداد من جهة النهروان. (ياقوت الحموي، معجم، ١١٧/١). والمزيد من التفاصيل حول هذه المدينة يراجع: أحمد شهاب أحمد المظفر، إقليم الأحواز؛ سماح عاطف عبد الحليم حميدة، ولاية الأهواز في العصر البويهي.

(٢) ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ق٢، ٧٧٨-٧٧٩؛ فاروق عمر فوزي ومرتضى حسن النقيب، تأريخ إيران، ١٤٤؛ عمر رضا كحالة، العالم الإسلامي، ١٨١-١٨٢.

(٣) مسكويه، تجارب، ٣٠٣/١؛ الهمداني، تكملة تأريخ الطبري، ٢٩٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٦٥/٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٢٧٥-٢٧٨؛ طارق فتحي سلطان، التأريخ الإسلامي، ٢٧/٢.

(٥) سميت مدة صاحب هذا المنصب (إمرة الأمراء). ينظر: تقي الدين عارف الدوري، عصر إمرة الأمراء.

(٦) عبد الجبار ناجي وآخرون، الدولة العربية، ٢٨٤.

يقوم بتوفير الأموال التي يحتاجها الخليفة^(١)، من أجل معالجة المشكلة المالية المستعصية، غير أن ذلك الحل لم يكن ناجحاً، بل زادت مشكلات الدولة تعقيداً، حتى وصل الأمر إلى أن تدرج على هذا المنصب في سنة واحدة (٣٢٩هـ/٩٤٠م) أربع أمراء. وبعد موافقة الخليفة العباسي على هذا العرض أرسل إليه الخلع ومنشور التفويض مع أحد رسله، فلما وصل رسول الخليفة إلى شيراز خرج علي بن بويه لاستقباله وأخذ منه الخلع وقرأ على الناس تفويض الخلافة واعترافه بحكمه على البلاد^(٢). ومن جهة أخرى فإن اعتراف الخليفة بنفوذ البويهيين سهل مهمتهم في التوسع في المنطقة^(٣). وفي سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م) سار أحمد بن بويه إلى الأهواز فملكها واستولى عليها^(٤). ومن الأهواز التي غدت مقراً له، طمع في السير إلى بغداد والاستيلاء عليها^(٥)، بسبب الأحوال المضطربة آنذاك إثر الخلاف بين الخليفة المتقي بالله (٣٢٩-٣٣٣هـ/٩٤٠-٩٤٤م) وأمير الأمراء توزون^(٦).

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٥٨/٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ٢٧٧/٨؛ أحمد السعيد سليمان، تأريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، ١٠٠/٢.

(٣) ((Heribert Buss)، "Iran Under The Buyhides"، The Cambridge History of Iran، Vol. ٤، p.٢٥٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٣٤٠/٨؛ عمر رضا كحالة، العالم الإسلامي، ١٨١-١٨٢؛ سماح عاطف عبد الحليم حميدة، ولاية الأهواز في العصر البويهي، ٦١.

(٥) الصولي، أخبار الرازي والمتقي، ٢٦٣-٢٦٤؛ أحمد شهاب أحمد المظفر، إقليم الأحواز، ١١٦.

(٦) الصولي، أخبار الرازي والمتقي، ٢٦٣-٢٦٤؛ أحمد شهاب أحمد المظفر، إقليم الأحواز، ١١٦. وتوزون: رئيس الجيش وأمير أمراء الترك وأسمه أبو الوفا تولى الأمانة سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) وتوفي في سنة (٣٣٤هـ/٩٥٤م) وكانت مدة إمارته سنتين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً. وكان من خواصه بجم، غدر بالخليفة المتقي وسلمه، وكانت تعزيره علة الصرع، ولم يحل عليه الحول بعدما فعله بالمتقي، وكان جباراً ظالماً فاسقاً فاتكاً، قتل خلقاً كثيراً وأخذ الأموال. (الصولي، أخبار الرازي

ثم طلب الخليفة المتقي المساعدة من البويهيين من أجل وضع حد للنزاعات الداخلية ولاسيما بينه وبين توزون^(١). فاستجاب أحمد بن بويه لطلب الخليفة وقرر الدخول إلى بغداد، لكن توزون هاجمه وتمكن من صدّه ومنعه من تحقيق غايته^(٢). فظل ينتظر الفرصة المناسبة للدخول بغداد والاستقرار بها.^(٣)

وفي سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م) دخل أحمد في مواجهة أخرى مع الأمير توزون، ولكنه فشل أيضاً في الدخول إلى بغداد^(٤). غير أن الظروف بعدها سمحت له في بلوغ هدفه هذا بعد وفاة توزون التركي سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م).^(٥)

وما لبث أن عمت الاضطرابات بغداد، فعمد ينال كوشه والي واسط إلى مراسلة أحمد ابن بويه وطلب إليه التوجه إلى بغداد^(٦)، وإن الخليفة المستكفي (٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٤-٩٤٥م) اضطر إلى الترحيب به نظراً لسوء وضع الخلافة وعدم قدرتها على مواجهة أمراء الترك.^(٧)

والمتقي، ٢٦٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٧/٦-٣٣٨؛ ابن الأثير، الكامل، ١٧٢/٧-١٧٣، ١٨٦-١٨٧.

(١) محمد سهيل طقوش، تاريخ الطولونيين والاختشيين والحمدانيين، ٢٣٩.

(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ٥٨-٥٩؛ أحمد شهاب أحمد المظفر، إقليم الأحواز، ١١٦.

(٣) حسين أمين، بغداد منذ تأسيسها، ٦٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٤٠٨/٨-٤٠٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ٤٤٥/٨؛ أبو الفداء، المختصر، ٩٩/٢.

(٦) مسكويه، تجارب، ٨٥/٢؛ ألكسندر أداموف، ولاية البصرة، ٤٣/٢.

(٧) عكاب يوسف جمعة، العلاقات السياسية للخلافة العباسية، ٢٨.

واستفاد أحمد بن بويه من الصراع الذي حصل بين الخليفة من جهة والأمراء الترك من جهة أخرى^(١). فضلاً عن الأوضاع المتدهورة في بغداد وهروب التجار والعامّة منها، فكان ذلك دافعاً في دخول الأمير البويهى بغداد سنة (٩٤٥هـ/٣٣٤م)^(٢). فقامت الدولة البويهية في العراق فضلاً عن فارس، فقد امتد نفوذهم من بغداد إلى الري وهمدان وأصفهان، وظلت مدن فارس موزعة تحت سلطة الأمراء البويهيين^(٣).

المبحث الاول: العيارون والشطار وموقفهم من المؤسسة المدنية

أولاً: العيارون والشطار والأمراء البويهيون

لم تتخذ أنشطة العيارين والشطار وفعالياتهم أسلوباً واحداً متصلاً على طول هذا العصر، بل نرى أن نشاطهم جاء على شكل تيارات قوية أستمّر كل واحد منها مدة خمسة عشر عاماً^(٤)، وقد توسعت الحركة سواء في حجمها أو تنظيمها أو حتى تركيبها أو في طبيعة أعمالها وأنشطتها ولاسيما بعد انضمام العديد من أشرف بغداد إليها ومشاركتهم في فعاليتها^(٥). فكان لها دورٌ كبيرٌ في إقلاق الأمراء البويهيين وتحديدهم^(٦). كانت بداية اصطدام العيارين والشطار مع الأمراء البويهيين في سنة (٩٤٥هـ/٣٣٤م) بتعاونهم مع ابن شيرزاد عند محاربته الأمير معز الدولة، فكان يركب

(١) الصولي، أخبار الراضي، ٢٦٣-٢٦٤؛ شاعر الضابط، تأريخ المنازعات، ٤٠١.

(٢) خضر جاسم محمد، بغداد منذ تأسيسها حتى الغزو المغولي، ١٣٩؛ سرى ممتاز عبد الله، تجار

العراق ودورهم في الحياة العامة في القرنين الثالث والرابع الهجري، ٢٣، ٢٧.

(٣) محمد فريد وجدي، مادة بويه، دائرة معارف القرن العشرين، ٤٤٤/٢؛ جوزيف كلاس، الحياة

السياسية في الوطن العربي، ١٠٠.

(٤) موفق سالم نوري، إشكالية العلاقة بين العيارين والشطار والسلطة البويهية، ٢٢٧.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٠/٧؛ الذهبي، العبر، ١٧٨/٢.

(٦) محمد رجب النجار، الشطار والعيارون، ٩؛ صلاح الدين المنجد، الحركات التقدمية في العراق،

في الماء وهم معه وقتلوا معز الدولة على الشطوط بالنشاب^(١). إن وقوف العيارين والشطار إلى جانب ابن شيرزاد لأضعاف سلطة الأمير البويهى من جهة وتحسين أحوالهم المعاشية من خلال نهب وسلب الأموال التي تقع تحت أيديهم من جهة أخرى. وظهر في عهد معز الدولة أحد عياري بغداد وهو ابن الحراسة فقد كان مظهرًا للقمار والعيارة والفساد وكان مشهوراً ببيع الخمر، وكان بيته مأوى للصوص ولاسيما إنهم تميزوا بالحيل التي يتوصلون بها إلى الفساد^(٢). لذا آواهم واستبد بالأمور وقوي أمره واستهان بمعز الدولة وأكثر بكلامه عليه ولم يخف منه. فلما بلغت معز الدولة أخباره أرسل جنده إلى داره وكبسه، لكن ابن الحراسة استطاع الهرب منهم وتفرقت جماعته^(٣). وفي سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) استغل العيارون والشطار هجوم العامة على الأمير عز الدولة لمطالبته بقتال الروم الذين اغاروا على الرها والجزيرة الفراتية، فظهروا على الساحة واستغلوا انشغال عز الدولة بحركة العامة، فأحدثوا فوضى واضطرابات، وظهرت منهم فئات نهبوا الأموال وقتلوا الرجال وأحرقوا البيوت، وبهذا العمل أظهر العيارون تحديهم للأمير عز الدولة، وعندما أرسل قوة عسكرية إلى بلاد المسلمين لحرب الروم كان العيارون والشطار بين المتطوعين، إلا أن شعورهم بعدم جدية الأمير عز الدولة في إسناد موقف العامة والتوائه لإعاقة هذا الموقف^(٤)، حدا بهم لاستثمار هذا التجمع^(٥). وكانوا كثيرين في هذه السنة وقوي أمرهم حتى قال المقدسي: (ورأيت دول العيارين)^(٦).

(١) مسكويه، تجارب، ٩١/٢.

(٢) التتوخي، نشوار المحاضرة، ١٨٦-١٨٧/١.

(٣) التتوخي، نشوار المحاضرة، ١٨٦-١٨٧/١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٦١٩/٩.

(٥) طالب جاسم حسن، المقاومة العربية للتسلط البويهى، ٢٩٧.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٤٥.

ويكشف هذا ما وصل إليه العيارون والشطار من قوة ونفوذ كبير واستبدادهم بالأمور في بغداد بسبب غياب السلطة ولاسيما أن عز الدولة وقتها كان في الكوفة. فظهروا وكأنهم الحكام يفرضون الضرائب ويستولون على كل ما يقع في طريقهم^(١)، فان نظام العامة في صفوف العيارين وتعاطفهم معهم والتستر عليهم أدى إلى تقويتهم وكثرتهم وتعاطف نفوذهم ووقوفهم بوجه الأمراء البويهيين^(٢)، فأصبح في كل محلة عدة رؤساء من العيارين يحمون أتباعهم ومحلاتهم وأموالهم، ويتصدون لكل من يحاربهم^(٣). وفي سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) واصل العيارون نشاطهم وتحدا السلطة البويهية وأحدثوا الفوضى والخراب، فتوجه عز الدولة إلى بغداد من أجل تسكين الأوضاع فيها والسيطرة عليها، غير أن الأمور ازدادت سوءاً ف (استولى العيارون والشطار على بغداد وكبسوا الدور وتعرضوا للحريم)^(٤). وبعملهم هذا أصبحوا سادة الموقف في الشوارع والطرق والأسواق والمحلات بسبب غياب الأمن وغياب القائمين عليه^(٥). وأصدر عز الدولة أوامره إلى وزيره أبي الفضل الشيرازي بإشعال النيران في الجانب الغربي من بغداد ممّا أدى إلى احتراق مساحات واسعة بما فيها الكرخ وسوق النخاسين ومنع الناس من أطفالها فانتشرت في جميع الجهات حتى أحرقت العديد من الناس والحيوانات ثم أعطى عز الدولة الأمان للعيارين فسكنت الأوضاع^(٦). وفي سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) قام العيارون والشطار بإحداث الفوضى والاضطراب وعجز الأمير البويهي عن إخماد حركتهم وقطعوا الطرق وكبسوا المحلات واستولوا على

(١) موفق سالم نوري، إشكالية العلاقة بين العيارين والشطار والسلطة البويهية، ٢٢٥.

(٢) محمد رجب النجار، الشطار والعيارين، ٨٤-٨٥.

(٣) مسكويه، تجارب، ٣٠٥/٢؛ جعفر عباس حميدي، العيارون والشطار والفتوة، ٩٥.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ١٧٨.

(٥) موفق سالم نوري، إشكالية العلاقة بين العيارين والشطار والسلطة البويهية، ٢٢٨.

(٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ١٧٨.

الأموال، فاستاء عز الدولة من ذلك فقبض على ثمانية عشر رجلاً من العيارين، ثم قتل أربعة منهم، وأعطى البقية الأمان والأموال، فهدأت حركتهم وسكنت.^(١)

وفي سنة (٣٦٤هـ/٩٧٤م) ثار العيارون على الأمير عضد الدولة واستغلوا فرصة غيابه عن بغداد وانشغاله بالصراع مع عز الدولة، ولكن عضد الدولة قابلهم بالاستخفاف والسب، ثم جاءت قوة مساندة من جانب الوزير أبي الفتح بن أبي الفضل بن العميد وتوجه إلى بغداد وسيطر عليها وطرده العيارين منها واستولى على منازلهم.^(٢)

ولا ننسى ان العيارين أدوا دوراً بارزاً في التصدي لعضد الدولة عندما سار إلى بغداد وأراد ضمها إلى نفوذه في إطار صراعه مع عز الدولة وكانت نتيجة الحرب لصالح عضد الدولة بعد أن قتل وغرق عدد من العيارين^(٣). ولا يعني هذا أن للعيارين وعياً سياسياً في مقاتلة البويهيين، ولكن اشتراكهم مع الجند الترك ودفاعهم عن بغداد انطلق من منطلقين، الأول إنهم أرادوا منع دخول عضد الدولة إلى بغداد حتى لا يستتب الأمن فيها فتتسع الفرصة أمامهم لمزاولة نشاطهم وأعمالهم اللصوصية ولاسيما بعد ضعف الخلفاء وتقوية البويهيين، ولإشعار عضد الدولة بضعفه وتحديدهم له وابرار قوتهم ونفوذهم عليه. أما الأمر الثاني فيمكن القول إنهم دافعوا عن بغداد من أجل إعطائهم الأموال وتحقيق بعض المكاسب الخاصة .

وفي السنة نفسها زاد طغيان العيارين والشطار واستبدادهم بالأمور وتحذوا الأمراء البويهيين، فركبوا الدواب وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الأمور وأخذوا الخفائر -الضرائب- من الأسواق والدروب، وكان من بينهم عيار اسمه أسود الزبد وقاد العيارين ضد الأمراء البويهيين وجرت بينهم حروب وفي النهاية خرج إلى الشام وهناك توفي^(٤)، وهو ما يؤشر

(١) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ١/١٤١.

(٢) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ٤٤٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٨/٦٤٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٧/٧٤-٧٥.

مدى تنظيم حركة العيارين الشطار من خلال وجود قادة تزعموا قيادة حركتهم بشكل منتظم.

وأضطر الأمير عز الدولة الى طلب المساعدة من أبي تغلب الحمداني للقضاء على حركة العيارين في هذه السنة، فوصل إلى بغداد فقتل جماعة منهم^(١)، وتسبب ذلك في تفرق العيارين.^(٢)

وفي سنة (٣٧١هـ/٩٨١م) أظهر العيارون تحدياً واضحاً للأمير البويهبي، فقد قام أحد أفرادها مستغلاً إنشغال السلطة بالحريق الذي نشب في بغداد، بسرقة بعض ممتلكات عضد الدولة الغالية الثمن، فتعجبت العامة من جرأة هذا العيار على الرغم من هيبه عضد الدولة آنذاك، الذي ارسل من يبحث عنه لكنه لم يتم العثور عليه، وبقي مختفياً عن أنظار السلطة.^(٣)

وفي سنة (٣٧٩هـ/٩٨٩م) عاد العيارون والشطار إلى تحدي الأمراء البويهيين مرة أخرى، وأحكموا السيطرة على الجانب الشرقي والجانب الغربي من بغداد وانتشروا في جميع محلات بغداد وأصبح في كل محلة قائداً عليها، وعاثوا في الأرض فساداً ولم يقدر الأمير البويهبي على التصدي لهم حيث (غلبت عليهم السلطنة بعد ذلك وسكنوا).^(٤) واستغل العيارون غياب الأمير بهاء الدولة وخروجه من بغداد، فقاموا بإحداث الفوضى بجانبى بغداد ودخلت العامة في حركتهم، فأحرقوا المحلات ونهبوا الأموال ودمروا المنازل واستمر ذلك عدة شهور حتى عاد بهاء الدولة إلى بغداد وعمل على تسكين حركتهم وذلك في سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م).^(٥)

(١)الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ٤٣٥.

(٢)ابن الجوزي، المنتظم، ٦٧/٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٨٠/١١.

(٣)الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ١١١-١١٢.

(٤)الذهبي، دول الإسلام، ٢٣١/١.

(٥)ابن الأثير، الكامل، ٧٦/٩.

وفي سنة (٣٨١هـ/٩٩١م) كثرت حركات العيارين ضد السلطة البويهية وأصبح لهم قوة ونفوذ، فكان كل قائد أو متقدم في محلة أو درب تعصب لمحلته ودربه، ولم تقدر السلطة على إيقافهم، على الرغم من وجود صاحب الشرطة، فكانوا عاجزين عن وضع حد لتجاوزاتهم^(١). فأصدر بهاء الدولة أوامره بالقضاء على الحركة، فقبض على أحد قوادهم يُدعى ابن جوامرد، ثم أطلق سراحه بعد أن علم بهاء الدولة ما قام به هذا العيار في عهد أخيه صمصام الدولة بحراسة الأسواق إذ كانت السلطة قد عينته لذلك، فرجع إلى وظيفته^(٢).

وفي السنة نفسها وقف العيارون والشطار ضد بهاء الدولة ودافعوا عن الخليفة العباسي، بعد أن قبض بهاء الدولة على الخليفة الطائع لله، فعمدوا إلى إحداث الفوضى في دار الخلافة وقلعوا أبوابها وشبابيكها^(٣)، تعبيراً عن استيائهم من تصرفات الأمير البويهي .

وفي سنة (٣٨٣هـ/٩٩٣م) قوي أمر العيارين واشتهر بينهم عزيز البابصري من سوق باب البصرة، والتف حوله جمع من العيارين ثم ألقى النيران في الأسواق، كما فرض الضرائب على سوق التمارين . فأرسل بهاء الدولة أتباعه للقبض عليه، فقتلوا بعض العيارين، فخاف عزيز البابصري من تعرضه للقتل، فهرب مع بعض من أصحابه وبالتالي هدأت الحركة في هذه السنة^(٤).

ولما ازداد عبث العيارين والشطار في العراق في سنة (٣٩٢هـ/١٠٠١م) أرسل بهاء الدولة وزيره عميد الجيوش إلى العراق مرة أخرى لإخماد حركتهم وتجريد البلد من

(١) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ١٨٧/٣.

(٢) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ١٩٩/٣.

(٣) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٩٧/٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ١٧٤/٧ ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٤٧-٢٤٨.

سيطرتهم^(١)، فقتل بعضهم وصلب البعض الآخر. ثم أرسل إلى العامة بمنع ممارسة أعمالهم خوفاً عليهم من العيارين^(٢). ثم عمد إلى إرجاع أعيان بغداد الذين هربوا من العيارين إلى البطيحة وطمّنهم بهدوء الأوضاع في بغداد. ثم طارد العيارين في كل مكان وأمر بكبس المنازل والبيوت بحثاً عنهم، وتتبعهم وقتل بعضهم وأغرق بعضهم وهرب بعضهم، وكان من جملة من هرب من العيارين رجل يدعى ابن أبي العباس هرب إلى ميافارقين، فقال عميد الجيوش لأهل بغداد: (هذه مئة دينار لمن يمضي وراءه ويفتك به) وأودعها عند بعض التجار ثم فكر بإرسال شخص لقتله ثم وردت الأخبار بموت هذا العيار، فضحك عميد الجيوش وقال: (هذا قد أراحنا الله منه بغير عزم، اصرفوا هذه الدنانير في الراحة من مفسد آخر)^(٣). ولم يكتفِ عميد الجيوش بذلك بل قبض على بعض الأشخاص لمشاركتهم في حركة العيارين وكان يقرن الواحد بالآخر ثم يغرقهما في النهر أمام أعين الناس^(٤). ونجح بهذه القسوة في إخماد حركة العيارين، وضبط الأمور في العراق وخلوها من فسادهم وسرقتهم لأموال الناس، فهدأت في سنة (٣٩٦هـ/١٠٠٥م) الأوضاع في العراق وسكنت حركة العيارين، فأمر الوزير عميد الجيوش مملوكه بالسير في محلات بغداد وبيده صينية مملوءة بالدنانير فلم يتعرض له أحد من العيارين للسرقة لا في الليل ولا في النهار^(٥)، وجعل من ذلك دليلاً على خوف العيارين من الوزير عميد الجيوش لقوته وقسوته.

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٠/٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٠/٧؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٤٤٤/٢.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٦٦.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣١/١٧.

وفي سنة (٤٠٩هـ/١٠١٨م) عاد عبث العيارين في بغداد مستغلين غياب السلطة، لكن بعد وصول الأمير سلطان الدولة إلى بغداد هدأت حركتهم^(١)، خوفاً منه.

وعندما توفي الأمير شرف الدولة في سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م) استبد العيارون بالأمور، ونهبوا الناس وأظهروا الفساد مثل الإفطار في رمضان^(٢)، فلما تولى الأمير جلال الدولة الإمارة قال: (أنا أركب بنفسي في هذا الأمر)^(٣)، وطلب منهم الكف عن أعمالهم، لكنهم لم يهتموا بذلك فزادوا فساداً وكبسوا المنازل ليلاً ونهاراً، ولم يتمكن أحد من إيقافهم، فخاف الأمير على نفسه فهرب إلى الموصل.^(٤)

وفي سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م) عاود العيارون نشاطهم من جديد وقويت حركتهم ضد السلطة حتى عَجَزَ الأمير البويهري عن إيقافهم، فأرسل قوة للقضاء عليهم، واستطاعت إخماد حركتهم والسيطرة على الأوضاع.^(٥)

وفي سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) أظهر العيارون تحدياً واضحاً للسلطة فتجاوزوا على دار المملكة وقصدوا داراً لبعض الجند الترك فسمع الأمير البويهري بذلك فجمع جنده واتباعه وخرج لمقاتلتهم ووصل إلى درب حماد أحد دروب بغداد، لكن العامة منعتهم من ذلك بعدما بينت له معاملة الترك السيئة لهم، فعاد الأمير إلى داره وعاث العيارون فساداً في الجانب الشرقي ثم في الجانب الغربي، وكبسوا منازل ومحلات ودخلوا جامع الرصافة وصادروا ما فيه ثم عادوا أدراجهم.^(٦)

(١) ابن الأثير، الكامل، ٣٠٧/٩.

(٢) الذهبي، دول الإسلام، ٢٤٧/١؛ وله أيضاً: تاريخ الإسلام، ٣٤.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/١٨-١٩.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٤٧٤/٤.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ٤٤/٨. ودرب حماد: لم أعثر عليها في المصادر.

وفي سنة (٤٢٢هـ/١٠٣١م) دخل العيارون دار المملكة فاستولوا على حجرة الحرم، وأخذوا منها بعض الثياب الغالية، وعندما سمع الأمير البويهري بذلك أرسل قوة طاردت العيارين وقتلت شخصاً منهم، ثم وضع الحراس على دار المملكة.^(١)

وفي سنة (٤٢٣هـ/١٠٣٢م) ظهر تحدٍ واضح للسلطة، فقد ثار العيارون مستغلين غياب الأمن وهجموا على جامع الرصافة ورجموا الخطيب وطالبوا أن تكون الخطبة لزعيمهم البرجمي في كل صلاة جمعة ولا يخطب للأمير البويهري^(٢)، الأمر الذي كشف مدى الانحدار الذي آلت إليه الأوضاع في بغداد، واستهتار العيارين واستهانتهم بامراء الدولة .

وفي سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٥م) سيطر العيارون على بغداد من الجانبين وخرجت السيطرة عن يد الأمير جلال الدولة، وعَجَزَ عن التصدي لهم وانتشر الفساد وتدهورت السلطة، ثم قاموا بختف أحد رجال الدولة وطلبوا فدية لإطلاق سراحه^(٣). وهكذا أدى العيارون دوراً خطيراً في تحدي الأمراء البويهريين الذين فوجئوا بتصديهم لهم وتسليحهم بأسلحة كأنهم جنود في ساحة الحرب مستعدين لمواجهة أعدائهم، وبالتالي تفاقم الأمر وأدى في النهاية إلى احتدام الصراع بين الطرفين.

ثانياً: العيارون والشطار والوزراء

اتخذت حركة العيارين والشطار وفعالياتهم الى الاصطدام بالموظفين وهذه المرة كانت طبقة الوزراء الذين عدوا أبرز مساعدي الأمراء البويهريين في إدارة السلطة، فأخذ الوزراء على عاتقهم إخماد حركة العيارين أو الحد من تجاوزاتهم وإيقافهم، وأن نشاطهم جاء على شكل تيارات قوية أستمروا كل واحد منها مدة خمسة عشر عاماً^(٤)، وقد توسعت

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٥٤/٨.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٦٢/٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٨٢/٨ ؛ أبو الفداء، المختصر، ١٥٩/٢.

(٤) موفق سالم نوري، إشكالية العلاقة بين العيارين والشطار والسلطة البويهية، ٢٢٧.

الحركة سواء في حجمها أو تنظيمها أو حتى تركيبها أو في طبيعة أعمالها وأنشطتها ولاسيما بعد انضمام العديد من العامة إليها ومشاركتهم في فعاليتها^(١). فكان لها دورٌ كبيرٌ في إقلاق وتحديهم^(٢)

كان الوزير أبو محمد المهلبى من أبرز الوزراء الذين أدوا دوراً في محاربتهم، فعندما نشطوا في سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) وتوجه البعض من الناس للانخراط في هذه الحركة بسبب تأزم الأوضاع الاقتصادية ولاسيما في بغداد، انبرى المهلبى للقضاء على هذه الحركة وأرسل بالقبض على العيارين والأحداث والزعار وحملة السكاكين ووضعهم في زوارق ونفاهم خارج بغداد.^(٣)

وفي سنة (٣٦٤هـ/٩٧٤م) ثار العيارون على الأمير عضد الدولة واستغلوا فرصة غيابه عن بغداد وانشغاله بالصراع مع عز الدولة، ولكن عضد الدولة قابلهم بالاستخفاف والسب، ثم جاءت قوة مساندة من جانب الوزير ابي الفتح بن أبي الفضل بن العميد وتوجه إلى بغداد وسيطر عليها وطرده العيارين منها واستولى على منازلهم.^(٤)

وفي سنة (٣٨٣هـ/٩٩٣م) قوي أمر العيارين واشتهر بينهم عزيز البابصري من سوق باب البصرة، والتف حوله جمع من العيارين ثم ألقى النيران في الاسواق، كما فرض الضرائب على سوق التمارين . فأرسل بهاء الدولة احد وزراءه للقبض عليه، فقتلوا بعض

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٠/٧ ؛ الذهبي، العبر، ١٧٨/٢.

(٢) محمد رجب النجار، الشطار والعيارون، ٩ ؛ صلاح الدين المنجد، الحركات التقدمية في العراق، ٦١.

(٣) هلال الصابي، تحفة الوزراء، ٣٥٨-٣٥٩ ؛ كامل مصطفى شيبى ؛ همتسكى ميان تصوف وتشيع، ٢٦١.

(٤) الهمداني، تكملة تأريخ الطبري، ٤٤٣.

العيارين، فخاف عزيز البابصري من تعرضه للقتل، فهرب مع بعض من أصحابه وبالتالي هدأت الحركة في هذه السنة.^(١)

وفي سنة (٣٩٠هـ/٩٩٩م) قوي أمر العيارين أيضاً وازداد نفوذهم، فكبسوا المنازل ليلاً ونهاراً، وقتلوا العديد من الناس وأخذوا أموالهم، وكان وقتها الوزير أبو علي الحسن بن استاذ هرمز الملقب بعميد الجيوش المدبر للأمر في العراق ونائب عن الأمير بهاء الدولة الأمير البويهبي، فطارد العيارين وقبض على جماعة منهم، وقتل بعضهم وأغرق البعض الآخر فهدأت حركتهم.^(٢)

ولما ازداد عبث العيارين والشطار في العراق في سنة (٣٩٢هـ/١٠٠١م) أرسل بهاء الدولة وزيره عميد الجيوش إلى العراق مرة أخرى لإخماد حركتهم وتجريد البلد من سيطرتهم^(٣)، فقتل بعضهم وصلب البعض الآخر. ثم أرسل إلى العامة بمنع ممارسة أعمالهم اليومية خوفاً عليهم من العيارين^(٤). ثم عمد إلى إرجاع أعيان بغداد الذين هربوا من العيارين إلى البطيحة وطمنهم بهدوء الأوضاع في بغداد. ثم طارد العيارين في كل مكان وأمر بكبس المنازل والبيوت بحثاً عنهم، وتتبعهم وقتل بعضهم وأغرق بعضهم وهرب بعضهم، وكان من جملة من هرب من العيارين رجل يدعى ابن أبي العباس هرب إلى ميافارقين، فقال عميد الجيوش لأهل بغداد: (هذه مئة دينار لمن يمضي وراءه ويفتك به) وأودعها عند بعض التجار ثم فكر بإرسال شخص لقتله ثم وردت الاخبار بموت هذا العيار، فضحك عميد الجيوش وقال: (هذا قد أراحنا الله منه بغير عزم، اصرفوا هذه الدنانير في الراحة من مفسد آخر)^(٥). ولم يكتفِ عميد الجيوش بذلك بل قبض على

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ١٧٤/٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) هلال الصابي، تأريخ الصابي، ٧٥/٨-٧٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٠/٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٠/٧؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٤٤٤/٢.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٦٥-٢٦٦.

بعض الأشخاص لمشاركتهم في حركة العيارين وكان يقرن الواحد بالآخر ثم يغرقهما في النهر أمام أعين الناس^(١). ونجح بهذه القسوة في إخماد حركة العيارين، وضبط الأمور في العراق وخلوها من فسادهم وسرقتهم لأموال الناس، فهدأت في سنة (٣٩٦هـ/١٠٠٥م) الأوضاع في العراق وسكنت حركة العيارين، فأمر الوزير عميد الجيوش مملوكه بالسير في محلات بغداد وببده صينية مملوءة بالدنانير فلم يتعرض له أحد من العيارين للسرقة لا في الليل ولا في النهار^(٢)، وجعل من ذلك دليلاً على خوف العيارين من الوزير عميد الجيوش لقوته وقسوته.

وهكذا أدى العيارون دوراً خطيراً في تحدي الوزراء الذين فوجئوا بتصديهم لهم وتسلحهم بأسلحة كأنهم جنود في ساحة الحرب مستعدين لمواجهة أعدائهم، وبالتالي تفاقم الأمر وأدى في النهاية إلى احتدام الصراع بين الطرفين.

ثالثاً: العيارون والشطار والقضاة

تعرضت مؤسسة القضاء إلى انتهاكات وتجاوزات من قبل العيارين والشطار وهذا ما أدى إلى اصطدام القضاة معهم. ففي سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) دخل العيارون بغداد وكبسوا دار أبي عبد الله بن أبي موسى وكان قاضي على الجانب الشرقي وصادروا أمواله وارادوا القبض عليه لكنه هرب منهم، وتسلق حائط داره لكنه سقط من فوق الحائط فمات في الحال^(٣)، وارادوا بذلك نشر الفوضى في بغداد وكثرة الاضطرابات فيها. وفي سنة (٤٢٤هـ/١٠٣٣م) توجه العيارون إلى جامع الرصافة ومنعوا من إقامة الخطبة في

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٦٦.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣١/١٧.

(٣) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ق ٢، ٤٢٧/٤؛ التتوخي، نشوار المحاضرة، ٥٤/٨؛ الخطيب

البغدادى، تاريخ بغداد، ٢١٠/٣.

يوم الجمعة ورموا القاضي أبا الحسين بن العريف وطلبوا منه قطع خطبة الخليفة والأمير البويهى وإقامة الخطبة للزعيم البرجمي.^(١)

رابعاً: العيارون والشطار والحجاب

لعب الحاجب دوراً بارزاً في إخماد حركة العيارين والشطار. ففي سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) قام الحاجب المدعو صافي بدخول في قتال مع العيارين والشطار وساعد صاحب الشرطة في إخماد حركتهم وكان هذا الحاجب مكروهاً لأهل الكرخ فألقى النار في سوق النخاسين وامتدت إلى بقية المناطق الأخرى من بغداد.^(٢)

وفي سنة (٣٩٢هـ/١٠٠١م) كثرت غارات العيارون وأخذ ابو الحسن علي بن أبي الحاجب على عاتقه مطاردة العيارون وإنهاء حركتهم، فتوجه إلى دار احد العيارين وقبض عليه، وأرسل إلى عميد الجيوش وقتله. ثم قام الحاجب بمطاردة ابن مسافر العيار وكان وقتها مختبئاً في دار الأمين أبي عبدالله، ثم كُشف أمره وعرف الحاجب انه يجلس في دهليز فتوجه إليه وكبس الدهليز وكان الأمين ابو عبد الله غير موجود، فقبض على ابن مسافر العيار وضرب عنقه، واستاء الأمين من ذلك وقدم شكواه لعميد الجيوش لكنه لم يعمل له أي شيء سوى الاعتذار له.^(٣)

وعندما تعرضت العامة لغارات العيارين في سنة (٤٢٢هـ/١٠٣١م) ونهبهم لها وسرقة أموالهم وأمتعتهم، أرسل أهل الكرخ إلى حاجب الحجاب بضرورة مساعدتهم في القضاء على العيارين وحفظ الأمن في بغداد فقلد ابن النسوي على الشرطة وإعطائه مهمة محاربة العيارين ومطاردتهم، لكنه فشل في مهمته بعد أن حاربه العيارين ونهبوا داره فترك بغداد وهرب خارجها.^(٤)

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٧٥/٨.

(٢) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ٤٢٩.

(٣) هلال الصابي، تاريخ الصابي، ٣٤٩/٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٥٤/٨.

ثم حاول حاجب الحجاب مرة ثانية في الوقوف بوجه العيارين في سنة (٤٢٤هـ/١٠٣٣م) وإعاد ابن النسوي إلى وظيفته فطاردهم، لكن ابن النسوي تراجعته همتة بعد ان قتل أحد اتباعه وعاد العيارون في مزاوله اعمالهم بحرية^(١)، دون أي تصدي ن قبل الحاجب بعد ان فشلت مساعيه في ذلك.

خامسا: العيارون والشطار وموظفين آخرين

كان هناك موظفين على الرغم من قلة دورهم السياسي في مواجهة العيارين، لكنه كانت حجر عثرة في طريق العيارين. ففي عهد إمارة معز الدولة قام أبو الحسين أحمد بن محمد القزويني كاتب بكبح الاحمر مملوك معز الدولة بتنفيذ امر الوزير المهلبى واعتقال العيار الفراتي فأخذ قلمه وكتب (تسلمت من حضرة سيدنا الوزير - أطار الله بقاءه- ما أحمل إلى صاحبي اللص العيار الفراتي ثلاثة وهو واحد رجل).^(٢)

ففي سنة (٣٩١هـ/١٠٠٠م) دخل العيارون في صراع مع الكاتب ابو الحسن علي بن طاهر وكبسوا داره الكائن بدرب المقيبر من سوبقة غالب وحملوا السيوف لقتله، فقامت جارية كانت له في الدفاع عنه، فقبضوا عليها وضربوها بسيوفهم عدة ضربات حتى سالت الدماء من عندها، فقام الكاتب لمقاتلتهم لكنه لم يقدر عليهم لكثرة أعدادهم قتم قتله وأخذوا أمواله وممتلكات بيته، ثم تركوه . وفي اليوم الثاني قام احد خواصه والمدعو بأبي الحسن محمد بن أحمد بن علان عارض الجيش بتكفينه ودفنه في داره.^(٣)

ثم عاد العيارون مرة أخرى في هذه السنة بكبس دار أبي عبد الله الناظر في المواريث وبعض معاملات ابواب المال وأرادوا القبض عليه، ولكن لم يجدوه في منزله

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٧٥/٨.

(٢) غرس النعمة الصابي، الهفوات النادرة، ٣٢١-٣٢٢.

(٣) هلال الصابي، تاريخ الصابي، ٣٩٨/٨.

وكان ابو طالب بن عبد الملك صهر أبي عبد الله موجوداً في المنزل فقتلوه. وقتلوا أيضاً حماد بن السكر الشهروني أحد وجوه الرستاقية^(١)،

أما صراع العيارون مع النقبات فلم تخلى الساحة من الصراع. ففي سنة (١٠٢٥هـ/١٠١٦م) كثرة غارات العيارون ونهبوا الأموال وخرجوا في الليل وبيدهم الشموع يكبسون المنازل ومن ضمنها منزل احد موظفيها الذي نهبوه ثم احرقوه.^(٢)

وفي سنة (١٠٢٦هـ/١٠١٧م) عاث العيارون ببغداد وضربوها ونهبوا أموال الناس، فاستاء الشريف المرتضى بما فعله العيارون في هذه السنة والسنة الماضية، فقرر الانتقام منهم لما فعلوه بمنزله خاصة وببغداد عامة. فذهب إلى الخليفة شاكياً منهم وبالتالي سكنت حركة العيارين.^(٣)

وفي سنة (١٠٣٤هـ/١٠٢٥م) كبس البرجمي زعيم العيارين دار احد موظفي النقابة وعدة مخازن في الجانب الشرقي من بغداد^(٤)، فقام الشريف المرتضى بإحضار العيارين، وقال لهم: (من أراد منكم التوبة قبلت توبته وأقر في معيشته، ومن اراد خدمة السلطان استخدم مع صاحب المعونة، ومن اراد الانصراف عن البلد كان آمناً على نفسه ثلاثة أيام) وعرض عليهم وفضلوا الخروج من البلد^(٥). وهذا دل على خوف العيارين من قوة الشريف المرتضى.

(١) هلال الصابي، تاريخ الصابي، ٤٤٧/٨.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٦-٢٥٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٠٤/٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٤-٢٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٤٣٩/٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٧٩/٨.

وهكذا بقي العيارون والشطار طوال العصر البويهي متصدين للسلطة البويهية ومستغلين ضعفها^(١)، فقاموا بجمع الضرائب والاستيلاء على أموال الخاصة والعامة أجل تحسين أوضاعهم الاقتصادية.

المبحث الثاني: العيارون والشطار وموقفهم من المؤسسة العسكرية

أولاً: العيارون والشطار والقادة والجند

وفي الاطار العام لواجبات الجند في الحفاظ على الأمن والنظام العام، كان لابد من أن يقع الاصطدام بينهم وبين العيارين والشطار فقد اشتبك زعيم العيارين الفراتي مع الجند الديلم لأنه تعرض لأراضي هؤلاء الجند واستولى على محاصيلهم، فاستاء الجند من ذلك وقبضوا عليه وأرسلوه معتقلاً إلى الوزير المهلب^(٢).

وفي سنة (٤٠٨هـ / ١٠١٧م) استغل العيارون والشطار ضعف الجند الديلم في بغداد، فعمدوا إلى نهب الأموال^(٣)، مستغلين غياب هؤلاء الجند عن الساحة ولاسيما انشغالهم في قتال الجند الترك.

ودخل العيارون في قتال مع الجند الترك في سنة (٤١٦هـ / ١٠٢٥م) وقد تدخلت الشرطة ووقفت إلى جانب الترك. فتعاون الطرفان من أجل القبض على العيارين، لكنهم فشلوا بسبب قوتهم، وبالتالي هرب العديد من الجند الترك والشرطة إلى خارج بغداد^(٤). ومما ساعد على انتشار الفوضى وانعدام الأمن في هذه السنة، وفاة الامير البويهي شرف الدولة^(٥)، و ما تبع ذلك من صراعات داخل الأسرة البويهية حول الإمارة^(٦)، فالضعف

(١) رؤى متحدة، الولاء والقيادة، ١٤٦.

(٢) غرس النعمة الصابي، الهفوات النادرة، ٣٢١.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ١٥٠/٢.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٢١/٨ - ٢٢؛ ابن الأثير، الكامل، ٤٩/٩.

(٥) الذهبي، العبر، ٢٣٠/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨/١٢ - ١٩.

(٦) موفق سالم نوري، إشكالية العلاقة بين العيارين والشطار والسلطة البويهية، ٢٣٥.

المتزايد في بنية السلطة السياسية تسبب في توفير المناخ الملائم لممارس العيارون والشطار نشاطهم^(١). وفي سنة (١٤١٧هـ/١٠٢٦م) عاد العيارون إلى مزاولة نشاطهم من جديد وقويت حركتهم واشتبكوا مع الجند^(٢). الذين هاجموا منطقة الكرخ وألقوا فيها النيران فاحترقت أسواق ومحال كثيرة^(٣). وأدى ذلك إلى إخماد حركة العيارين والسيطرة على الأوضاع.

وفي السنة نفسها نشب قتال بين العيارين وفرقة الجند (الاسفهلارية) في بغداد، لأن الاسفهلارية أرادت حفظ الأمن وإخماد حركة العيارين، فأرسلوا إليهم بضرورة مغادرة بغداد وتركها، فثار غضب العيارين وتوجهوا إلى خيم الاسفهلارية وشتموهم ثم دخلوا في قتال معهم، فلبس الجند عدة الحرب وقرعوا الطبول وحملوا السلاح وهجموا على منازل تابعة للعيارين ومنازل قد أختبئوا فيها ثم احرقوها، ثم هجم الجند على الكرخ وأحرقوا الأسواق والمحلات من سوق الدقاقين حتى سوق النحاسين، ثم نهب الجند الكرخ فتدخل الخليفة وأرسل أحد خواصه لإخماد الحركة (ومضى مستوحشاً مما جرى إلى دار الخليفة فانهدر الاسفهلارية وسألوا التقدم اليه بالرجوع، فخلع عليه ثم تقدم إليه بالعود ثم حفظت المحال واتسعت المصادرات وقرر على أهل الكرخ مائة ألف دينار)^(٤). وفي سنة (١٤٢٠هـ/١٠٢٩م) نفسها دخل العيارون منزل أحد القادة الترك واستولوا عليها، فثار ذلك غضب أتباعه من الجند، وتوجهوا لمقاتلة العيارين، لكن العامة منعتهم، فعادوا إلى منازلهم واستغل العيارون غياب الجند فنهبوا كل ما وجدوا أمامهم، وشمل ذلك

(١) موفق سالم نوري، إشكالية العلاقة بين العيارين والشطار والسلطة البويهية، ٣١٩ ؛ سليمان التكريتي،

بغداد مدينة السلام، ١٢٢ .

(٢) الذهبي، دول الإسلام، ٢٩٨/١.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٤-٢٥/٨ .

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٤-٢٥/٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٨ .

الجانب الشرقي والجانب الغربي من بغداد^(١). وأيضاً قام أبو يعلى الموصلي وعدد من العيارين وكانوا متواجدين بأوانا وعكبرا بقتل خمسة من الجند الرجالة (المشاة) وعدد من أصحاب المسالح المسؤولين على المواضع التي فيها الجند. وفي الصباح، توجهوا إلى الكرخ حاملين بأيديهم سيوفاً وزعموا إنهم بُعثوا لحفظ الأمن في البلاد والعمل في خدمة الأمير البويهري (فتار بهم أهل الكرخ وظفروا بهم فضلبوا).^(٢)

وفي سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م) دخل العيارون في صراع مع الجند الترك فأوقعوا بهم وكان هؤلاء العمود الفقري في الجيش البويهري، فاستولوا على اصطبلاتهم وأخذوا خيولهم^(٣)، وقد اضطرت السلطة البويهية إلى نقل خيولهم إلى دورهم ولاسيما بعد عجزهم عن تهدئة هيجان وغضب العيارين، حتى إن الأمير جلال الدولة نقل دوابه إلى دار المملكة هو الآخر^(٤)، الأمر الذي يؤشر مدى تقاوم خطر العيارين، وفي الوقت نفسه مدى ضعف السلطة البويهية.

وفي سنة (٤٢٤هـ/١٠٣٣م) أراد القادة وفرقة الاصفهسلارية القبض على البرجمي بعد أن قوي أمره واستبد بالأمور، فخرجوا إلى حيث يعسكر هو وأصحابه، وكان المكان عبارة عن أجمة ذات قصب وماء كثيف امتدت خمسة فراسخ (= ٣٠ كم) وفي وسطها تل اتخذها قائدهم معقلاً ومنزلاً له، فحوصر المكان، إلا أن البرجمي خرج إليهم، وقال لهم: (من العجب خروجكم إليّ، وأنا كل ليلة عندكم، فإن شئتم أن ترجعوا وأدخل إليكم فعلت، وإن شئتم أنتم تدخلوا إليّ فافعلوا) غير أن جماعة من الاصفهسلارية راسلوه سراً وشدوا من أمره، فعاد الجند من دون فعل شيء^(٥).

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٤٤/٨.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٤٥/٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧٠.

(٣) الذهبي، العبر، ٢٤٢/٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٤١٠/٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٧٢/٨.

وفي السنة نفسها ظهر تحدي العيارين واضحاً للجند حين قاموا بزعامة البرجمي باعتقال أربعة جنود كانوا تابعين لأحد القادة لأن الأخير أخذ أربعة من العيارين، وبعد مفاوضات جرت بين البرجمي وهذا القائد اتفق الطرفان على إطلاق سراح المحتجزين لديهما.^(١)

وفي سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٦م) كبس العيارون منزل أحد القادة الترك ويدعى بلور بك التركي الكائن في محلة باب خراسان ونهبوا ما فيها ثم خرجوا منها.^(٢)

ثانياً: العيارون والشارط والشرطة

وايضا كان من مهام الشرطة العمل على استتابة الامن في بغداد وملاحقة مثيري المشاكل والقتال ومنهم العيارون والشارط. فعمدوا الى كسر السجون وكبسوا حبس الشرطة وقتلوه واطلقوا من فيه^(٣). أما مهمة صاحب الشرطة في هذه الحقبة فصارت وظيفة مهمة جداً لحفظ الأمن والنظام في الداخل ومطاردة اللصوص والضرب على أيديهم فكانت وظيفته في غاية الخطورة، نظراً إلى تفاقم الاضطرابات وتزايد المشاكل، فكانت هذه الوظيفة المرآة العاكسة لقوة الأمير البويهى أو ضعفه، فهي قوية اذا كان الأمير البويهى قوياً من الناحية السياسية، وتتمثل قدرته بالسيطرة على عوامل الانقسام، وهي ضعيفة في مدة حكم الأمير البويهى الضعيف والمنشغل في لذاته.^(٤)

ففي سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) نشب قتال بين العيارين والشرطة، وعجزت عن مطاردتهم فقلت هيبة السلطة البويهية وزادت قوة العيارين.^(٥)

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٧٥/٨ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٤٣٢/٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٨٨/٨.

(٣) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ١٢٩/٣ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٦٢٨/٨ .

(٤) حسين علي قيس محمد القيسي، طبيعة المجتمع العراقي، ١٦.

(٥) فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، ٣٩٤.

وفي سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) وبسبب ازدياد نشاط العيارين والشطار واستبدادهم بالأمور، قتل صاحب المعونة عياراً في سوق النخاسين، وهو ما أثار غضب العامة على صاحب المعونة فقتلته^(١). وهو ما يؤشر في الحقيقة أن الضرر الذي تعرضت له العامة من الشرطة كان أفدح من ضرر العيارين والشطار، الذين شكلوا خطراً عليهم.

أثارت أحداث سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) استياء العيارين فقاموا في سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) بالهجوم على السجون في بغداد وأطلقوا من فيها، ولم تقدر الشرطة على التصدي لهم إلا بعد أن ألفت النيران في مساكنهم^(٢)، وربما كانت هذه الرواية ضعيفة، إذ ليس من مصلحة الشرطة وهي المسؤولة عن حفظ الأمن إلقاء النيران، وأن أصابع الاتهام قد أشارت إلى العيارين أنفسهم، لأنهم أرادوا إشغال الشرطة بهذه الحرائق وعرقلتهم حتى لا يتمكنوا من اللحاق بهم والقبض عليهم^(٣). فالعيارون جهة ليست مسؤولة، ويمكن لتصرفاتها ان تكون هي الأخرى غير مسؤولة، مع توفر الاستعداد للقيام بسلوك غوغائي منفلت، الأمر الذي يصرف الشكوك عنهم^(٤).

وفي سنة (٣٧٦هـ/٩٨٦م) قام العيارون، منتهزين انشغال السلطة البويهية بصراعاتها الداخلية من جهة وتمرد الجند من جهة أخرى، بمهاجمة السجون وسيطروا عليها، وكبسوا حبس الشرطة واطلقوا من فيه^(٥). وهدفهم إشعار الشرطة الذين تولوا حراسة السجون بالضعف وزرع الخوف في قلوبهم حتى لا يتبعوهم أو يقبضوا عليهم، وحتى يتمكنوا من ممارسة نشاطهم في هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنهم لم يطلقوا سراح كل السجناء، بل عمدوا في كل مرة إلى إطلاق سراح أتباعهم من اللصوص.

(١) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ٤٢٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ٦٢٨/٨.

(٣) عمر أحمد سعيد محمود الحمداني، العامة في بغداد تحت التسلط البويعي، ١٧٧-١٧٨.

(٤) موفق سالم نوري، إشكالية العلاقة بين العيارين والشطار والسلطة البويهية، ٢٢٩.

(٥) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ١٢٩/٣.

وفي سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) تحدى العيارون والشطار السلطة واستبدوا بالأمور وقتلوا أعوانها ورجالها^(١)، ولم يكتفوا بذلك بل وصل بهم الأمر حد إثارة الفساد والفوضى في بغداد، ولم تنجح السلطة في القضاء عليهم إلا بعد ان عينت أبا محمد الحسن بن مكرم الحاجب على منصب الشرطة، الذي اتسمت سياسته بالشدّة والقوة تجاه العيارين، فهرب بعضهم إلى خارج بغداد وقبض على البعض الآخر، ثم هدأت الأمور ووانتهت حركتهم^(٢).

وفي أوائل سنة (٣٨١هـ/٩٩١م) استغل العيارون والشطار غياب الأمير البويهبي بهاء الدولة، فكثرت مشاكلهم وقاموا بالتهب والسلب، وتعاقب على منصب صاحب المعونة كثيرون عجزوا عن القيام بعمل حقيقي للحد من أعمالهم وفسادهم^(٣). ثم عاود العيارون قتالهم للشرطة في سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م)، ونجحوا في القبض على بعض رجالها ومن ثم قتلهم^(٤).

وفي سنة (٣٩١هـ/١٠٠٠م) ازداد نشاط العيارين والشطار واستبدوا بالأمور، فنقلد منصب الشرطة أبو الفوارس بهستون ابن ذرير في بغداد، وأخذ على عاتقه تصفية وجود العيارين فقبض على بعضهم وقتلهم وكبس دورهم، واستخدم الشدة تجاه من بقى منهم، فاستقام هؤلاء وسكنت حركتهم^(٥).

وفي سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) نشب قتال بين العيارين والشطار والشرطة بسبب غاراتهم في بغداد، وكبسوا عدة مواضع، ولم يكتفوا بذلك بل قصدوا احد مساجد بغداد

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ١٥٣/٧.

(٢) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ١٨١/٣.

(٣) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ١٨١/٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ١٧٤/٧ ؛ الذهبي، العبر، ١٦٣/٢.

(٥) هلال الصابي، تاريخ الصابي، ٣٨٩/٨.

وأخذوا حصرانه وستائره ومناذيله، ولكن حركتهم هدأت بسبب قوة الشرطة التي أجبرتهم على الهرب^(١)، بعد ان قبضت على بعضهم وقطعت أيديهم وسملت عيونهم^(٢).

ودخل العيارون والشطار في قتال مع الجند الترك في سنة (١٠٢٥هـ/١٠٢٥م) وقد تدخلت الشرطة ووقفت إلى جانب الجند الترك. فتعاون الطرفان من أجل القبض على العيارين، لكنهم فشلوا بسبب قوتهم، وبالتالي هرب العديد من الجند الترك والشرطة إلى خارج بغداد^(٣). ومما ساعد على انتشار الفوضى وانعدام الأمن في هذه السنة، وفاة شرف الدولة^(٤)، و ما تبع ذلك من صراعات داخل الأسرة البويهية حول الإمارة^(٥)،

وفي سنة (١٠٢٧هـ/١٠٢٧م) أغار العيارون والشطار على السجون واستولوا عليها وقتلوا بعض الشرطة ثم أطلقوا سراح السجناء، ثم خرجوا منها (وانبسطوا انبساطاً زائداً)^(٦).

وفي سنة (١٠٢٩هـ/١٠٢٩م) قام العيار المعروف بأبي يعلى الموصلية بقتل خمسة من رجال الشرطة في أثناء مهاجمته لمراكزهم في بغداد، ثم توغل في الأسواق بقيادة جماعة من العيارين، إلا أن السلطة طاردتهم، ثم هربوا إلى خارج بغداد إلى مقرهم في عكبرا خوفاً من القبض عليهم^(٧).

وفي سنة (١٠٣١هـ/١٠٣١م) تحدى العيارون والشطار السلطة واستولوا على أملاكها ونهبوها، فقام أبو محمد النسوي صاحب الشرطة بمطاردة العيارين فقتل واحداً منهم، ثم

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٢٣٧/٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٣٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٣٨/١١.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٢١/٨-٢٢؛ ابن الأثير، الكامل، ٤٩/٩.

(٤) الذهبي، العبر، ٢٣٠/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨-١٩.

(٥) موفق سالم نوري، إشكالية العلاقة بين العيارين والشطار والسلطة البويهية، ٢٣٥.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٧٠.

وضع الحراس على دار المملكة التي دخلها العيارون، يحرسونها كل ليلة، ولكن الحال لم يدم طويلاً فقد قوي أمر العيارين والشطار حتى أُجبر صاحب الشرطة على ترك منصبه وكبسوا منزله ثم تمكن من الهرب وعادت الاضطرابات مرة أخرى إلى بغداد^(١). يبدو جلياً أن السلطات كانت في بعض الأحيان عاجزة أو متواطئة^(٢). وكان هذا العجز على الصعيد السياسي .

وفي سنة (٤٢٤هـ/١٠٣٣م) تقلد أبو محمد بن النسوي منصب الشرطة مرة ثانية وطارد العيارين والشطار ودخل معهم في قتال أسفر عن قتل صديق لابن النسوي، فخاف الأخير من قتل العيارين له، فأختبأ ثم ترك بغداد، ففتح المجال أمام العيارين لإعادة نشاطهم بقيادة البرجمي وكبسوا المنازل ونهبوا الأموال^(٣).

وفي السنة نفسها اضطربت الأمور وتآزمت الأوضاع بعودة العيارين إلى مزاوله نشاطهم وفعالياتهم، فقوي أمرهم بزعامة مقدمهم البرجمي، فاشتبكوا مع الشرطة وقتلوا رئيسهم^(٤)، وانعدم الأمن فنهبوا أموال الناس، وأخذوا من أحد التجار مبلغاً قدره (عشرة آلاف دينار)، وخاف الناس من البرجمي ولم يخاطبوه باسمه، بل بالقائد، وتوجه الناس إلى الخطيب أبي الحسين بن الطريف وقالوا: (إن خطبت للبرجمي وإلا فلا تخطب للخليفة ولا للملك)، ثم عُين على الشرطة أبو الغنائم، فأخذ قوة من الشرطة وطارد بعض العيارين وقتل عدداً منهم^(٥). وبالتالي هدأت حركتهم نسبياً .

وفي سنة (٤٢٥هـ/١٠٣٤م) بلغت الاستهانة من جانب البرجمي أن طلب توليته منصب صاحب المعونة وحفظ الأمن، فلم يُجب إلى طلبه، فاستولى العيارون على

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٥٤/٨.

(٢) ماريوس كنار، بغداد في القرن الرابع الهجري، ١٨ .

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٧٥/٨.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/١٢.

(٥) الذهبي، العبر، ٢٥٠/٢-٢٥١؛ وله أيضاً: تاريخ الإسلام، ٢٥-٢٧.

ممتلكات تابعة للأمير البويهى وسيطروا على أموال الجباية^(١)، بعد أن عقد زعيمهم البرجمي اتفاقاً مع عامل المآصر بقطيعة الرقيق^(٢)، في بغداد أن يأخذ منه في كل شهر عشرة دنانير وأن يسمح له بأن تمر سفينتان كبيرتان في ذلك الموضع من دون دفع رسوم عنها، مقابل ذلك يقوم البرجمي بحماية ذلك الموضع بدلاً من السلطة البويهية^(٣)، بل بلغ الأمر أن الأمراء البويهيين اعترفوا بقوة هؤلاء العيارين واطلقوا عليهم لقب القواد وتنازلوا لهم عن جباية ما كان أصحاب المسالح (الحراس) يجبونه من الأسواق^(٤). وأغلب الظن أن هؤلاء العيارين أصبحوا قوة تضاهي السلطة البويهية في حينه، ممّا أدى بالأمراء البويهيين الى التنازل لهم عن جباية بعض الأسواق ومناصرة وتأييد بعض العامة لهم .

وفي سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٥م) عاد العيارون والشطار إلى مزاوله نشاطهم، ولاسيما في الجانب الغربي من بغداد، فاستعد أبو الغنائم بن علي صاحب الشرطة لمواجهتهم، فقتل اثنين منهم، فقتل العيارون رجلين من أتباع أبي الغنائم، فأشدت في طلبهم، وقتل بعضاً منهم، فعاد العيارون بإظهار الفساد والشغب واستولوا على منازل الجند الترك وكانوا يبقون فيها نهاراً ويخرجون ليلاً، وكتب العيارون والشطار رقاعاً قالوا فيها: (إنّ صُرف أبو الغنائم عنا حفظنا البلد، وإنّ لم يُصرف فما نترك الفساد)^(٥). وفي السنة نفسها

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٣٦٤.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٤١/٤ . المآصر: مفرداً مأصر وهي من أصر أصراً، أي حبسة والموضع مأصر . وهي سلسلة تمتد على النهر لمنع السفن من المرور، والحاجز في طريق العابرين لمنع المرور أو أخذ العشور جمعها مآصر . (الجوهري، الصحاح، ٨١٧/١ ؛ الرازي، مختار الصحاح، ١٨ ؛ ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ١٩/١) . وقطيعة الرقيق: لم اعثر على تعريفها في المصادر.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٧٧/٨ .

(٤) ابن الأثير، الكامل، ١٦٤/٨ .

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٨٢/٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٣.

سيطر العيارون على بغداد من الجانبين، وصادروا منازل الجند الترك فخرجت السيطرة عن الجند، وظل العيارون في هذه المنازل مقيمين فيها نهاراً ويخرجون ليلاً من أجل كبس الدور، لذا انتشر الفساد وتدهورت الأوضاع في بغداد.^(١)

وفي سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٦م) دخل العيارون بغداد وكان عددهم حوالي (١٠٠) رجل كبسوا دار صاحب الشرطة أبي محمد النسوي وأحرقوه وفتحوا خاناً وأخذوا ما فيه (وخرجوا والكرات على رؤوسهم والناس لا ينطقون)، وقد شجعهم على ذلك ما قام به العيارون قبل ثلاثة أشهر بكبس دار (بلور بك التركي).^(٢)

وفي سنة (٤٢٨هـ/١٠٣٧م) كبس العيارون أحد السجون في الجانب الشرقي وأطلقوا سراح العديد من رجالهم ثم قاموا بقتل سبعة عشر من رجال الشرطة^(٣). وفي سنة (٤٤٣هـ/١٠٥١م) تمكن العيارون من كبس دار صاحب الشرطة أبي محمد النسوي، ثم اصابوه بجروح عديدة.^(٤)

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٨/٨٢.

(٢) الذهبي، العبر، ٢/٢٥٥؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٣/٤٥. الكارات: مفرداً كارة وهي عبارة عن حزمة الثياب، وهي (تشبه البقعة). (صفي الدين البغدادي، مرصد الاطلاع، ٣/١١٤٢).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٨/٩١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٤٠.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٨/١٥١؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، ١٠.

الخاتمة

ومن دراسة حركة العيارين والشطار ومواقفهم إزاء المؤسسات البويهية المدنية والعسكرية ظهرت العديد من النتائج والمعطيات والاستنتاجات.

١- ان حركة العيارين والشطار انطلقت من واقعهم الاقتصادي والاجتماعي، من أجل تحسين وضعها المتدني.

٢- أشارك العيارون والشطار مع العامة في تحديهم للسلطة وكان الغرض منه العمل على نشر الفوضى والاضطراب لان ذلك يسمح لهم بممارسة نشاطهم المعروف بالسلب والنهب.

٣- ان دخول العيارين والشطار في تحالف مع خصوم الأمراء البويهيين هدفهم كان الانتقام منهم لاهمالهم لهم وعدم الاهتمام باوضاعهم المعاشية. وأيضاً حدوث الفوضى والاضطراب لكي يفتح الباب أمامهم لمزاولة أنشطتهم وفعالياتهم حتى يتمكنوا من الحصول على الأموال من خلال السلب والنهب.

٤- ان قيام العيارين بالسخط على السلطة دل على أمرين، الأول تدهور الحالة الاجتماعية لهم الذي أدى في النهاية إلى قيامهم بسلب ونهب أموال الاغنياء والتجار وكبار رجال السلطة وحتى الأمراء البويهيين لم يسلموا منهم. والأمر الثاني، إشعار السلطة البويهية بضعفها وتحديها لها.

٥- إن مواقف العيارين والشطار اتسم بالعنف ولاسيما إن استخدامهم السلاح في صراعهم مع السلطة البويهية وكان لهم قادة يقودونهم في أثناء القتال.

٦- كانت الشرطة المعوق الأساسي لأنشطة العيارين وفعالياتهم، لذا كانوا في كل مرة يصطدمون معهم ويؤدي الأمر إلى قتل البعض منهم.